الفصل الحادي عشر

عثمان أمين

وفلسفته الجوانية

الفصل الحادي عشر

عثمان أمين
وفلسفته الجوانية

أولاً: مكانته الفكرية

يُعد د. عثمان أمين (1908 - 1978م) واحدًا من رواد الفكر المصري والعربي المعاصر، فقد كان من الرعيل الأول من أساتذة الفلسفة المصريين بالجامعة المصرية. قدم للفكر العربي عددًا وفيرًا من المؤلفات امتازت جميعًا بالإبتكار والأصالة، عبر في أحدها عن مذهبه الفلسفي المتميز الذي أطلق عليه «الجوانيه».

ثانيا: حياته

ولد عثمان أمين بقرية مزغونة التابعة الآن لمركز البدرشين بمحافظة الجيزة عام 1908م لوالد كان يعمل مزارعًا وتاجرًا وفي نفس الوقت مشاركًا في قضايا بلده حيث كان عضوًا بمجلس المدينة. وقد هيأ الوالد لابنه نشأة علمية دينية فألحقه بكتاب القرية الذي حفظ فيه القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة. تلقى تعليمه الابتدائي بين مدرسة قريته الابتدائية ومدرسة العاصمة الكبرى بميدان باب الخلق بالقاهرة ومدرسة الهياتم الابتدائية بالقاهرة أيضًا وأتمها بمدرسة العياط الابتدائية. ويبدو أن تنقله بين هذه المدارس كان لظروف خارجة عن إرادته حيث كان والده مزواجًا تزوج من الثانية وهو في المرحلة الابتدائية، ومن الثالثة وهو في المرحلة الثانوية. وقد أثر ذلك في نفس مفكرنا كثيرًا حيث جعله إنطوائيًا كثير الصمت. وقد أخرجه من حالة الصمت هذه تركيزه على التفوق والنبوغ العلمي وخاصة حينما التحق بمدرسة السعيدية الثانوية بالقاهرة حيث شارك في الأنشطة

المختلفة بالقسم الداخلي بالمدرسة وحصل على العديد من الجوائز التشجيعية وساعده في ذلك نخبة متميزة من أعضاء هيئة تدريس المدرسة. وساعده تمكنه من اللغة الإنجليزية على مداومة الاطلاع والاستفادة من أعمال شكسبير وأعمال غيره من الأدباء الإنجليز كما اطلع على سير زعماء العالم آنذاك وأعجبه على وجه الخصوص سيرة حياة غاندي فكتب عنه أول مقالاته.

عانى الشاب من ظروف والده الأسرية حيث انقطع عن مواصلة الدراسة واضطر للعمل بعد إتمام الدراسة الثانوية فدّرس بمدرسة العياط الابتدائية كما عمل مترجمًا ومصححًا لبعض المطابع وقد نجح في الالتحاق بكلية الآداب بقسم الفلسفة وقد أعفته الجامعة من المصروفات نظرًا لظروفه. وتتلمذ في الجامعة على نخبة متميزة من الأجانب والمصريين منهم أندريه لالاند وأميل برييه ودوبريه ونللينو وطه حسين ومصطفى عامر وأحمد أمين ومحمد عوض ومنصور فهمي ومصطفى عبدالرازق ويوسف كرم. وبدأ نشاطه الفكري في نفس الأثناء حيث بدأ يكتب في مجلة « السياسة الأسبوعية « منذ عام 1927م وتناولت مقالاته موضوعات تتعلق ببرانية رجال الدين وعلاقة العلم بالأخلاق وقضايا الشباب وقد تأثر في هذه المقالات بأفكار الشيخ محمد عبده وفشته ومصطفى عبدالرازرق. تخرج عثمان أمين من الجامعة عام 1930م، وسافر بعد ذلك في عام 1931م إلى فرنسا ضمن بعثة جامعية لنيل درجة الدكتوراه. وقد ظهر تفوقه في جامعة السربون بباريس فحصل على دبلوم الدراسات العليا ببحث عن «شيلر» ونال درجة الماجستير ببحث عن «يكارت» أما بحثه عن درجة الدكتوراه فقد كان عن الإمام محمد عبده.

عاد عثمان أمين إلى مصر عام 1937م وبدأ حياته العلمية بشغل وظيفة مدرس بكلية الآداب جامعة القاهرة وقد تدرج حتى حصل على درجة الأستاذة في الفلسفة الحديثة وترأس قسم الفلسفة عدة سنوات. وقد بلغ من اعتزازه بعمله الأكاديمي أن رفض منصب سفير مصر في فرنسا في مطلع عصر الثورة المصرية. زاول عمله الأكاديمي في أكثر من جامعة عربية وأجنبية حيث عمل أستاذًا زائرًا في جامعات ليبيا والسودان وباكستان، كما درس لطلاب جامعات عين شمس والإسكندرية والأزهر والجامعة الأمريكية بالقاهرة. وقد توج جهده العلمي بانتخابه عضوًا بمجمع اللغة العربية عام 1974م وظل عضوًا به حتى وفاته عام 1978م.

ثالثًا: مؤلفاته وتحقيقاته ومترجماته

تنوعت كتابات عثمان أمين الفلسفية بين التأليف والترجمة والتحقيق. أما أشهر مؤلفاته، فهي:

1) **ديكارت:**

وهو أشهر مؤلفاته على الإطلاق، ونشر لأول مرة عام 1942م وتوالت طبعاته بعد ذلك ولا تزال حتى الآن رغم وفاة صاحبه. وجاء هذا الكتاب في أربعة أبواب وخاتمة؛ تحدث في الباب الأول عن سيرة حياة ديكارت وشخصيته. وخصص الثاني للحديث عن منهج ديكارت: ضرورته وقواعده وخصائصه. أما الباب الثالث فقد خصصه للحديث عن فلسفة ديكارت من الميتافيزيقا إلى آرائه الأخلاقية والاجتماعية. وفي الباب الرابع تحدث عن التأويلات المختلفة لفلسفة ديكارت. أما الخاتمة فقد خصصها للحديث عن ديكارت والتجديد الفلسفي وبيان أثر الفلسفة الديكارتية.

2) **الفلسفة الرواقية:**

وهو ثاني أشهر مؤلفاته؛ وقد اتضح فيه عناية عثمان أمين بدراسة الفلسفة الرواقية من بين المدارس الفلسفية اليونانية وربما واتته فكرته من خلال إدراكه لتأثر ديكارت بالرواقيين وخاصة ماركوس أوريللوس. لقد اشتمل هذا الكتاب الذي يُعد الآن المرجع العربي الوحيد عن الفلسفة الرواقية على أربعة أبواب؛ تناول في أولها دراسة الفكر اليوناني قبل الرواقيين مبينًا مكانة المدرسة الرواقية مصادرها وأعلامها، أما الباب الثاني فقد خصصه لدراسة مذاهب قدامى الرواقيين فتحدث عن نظريتهم في المعرفة والمنطق والطبيعة وفلسفتهم الإلهية والأخلاقية. أما الباب الثالث فدرس فيه مذاهب فلاسفة الرواقية الرومان وخاصة أعلامها الكبار سنكا وابكتيتوس ومرقس أوريليوس. أما الباب الأخير فقد عرض فيه بإسهاب لأثر الفكر الرواقي في الفكر الديني والفلسفي وكشف عن مدى تأثر الفكر المسيحي والإسلامي بالآراء الرواقية وانتقل إلى كشف مدى تأثيرها في الفلسفة الحديثة وخاصة في ديكارت واسبينوزا.

3) **محاولات فلسفية:**

وهو من المؤلفات الهامة حيث عرض فيه لبعض المشكلات الفلسفية ببساطة وسلاسة وعبر فيها عن وجهة نظره الخاصة في الميتافيزيقا والشك والعلم والأخلاق والمصير الإنساني، ودرس الحرية عند فلاسفة اليونان والرومان، والفلسفة والدين عند فلاسفة الإسلام، وأوضح أثر ابن سينا في الفلسفة الغربية وخاصة في فلسفة ديكارت المثالية.

4) **رائد الفكر المصري (الإمام محمد عبده):**

و يُعد هذا الكتاب من أهم مؤلفاته نظرًا لأنه كان موضوع رسالته للدكتوراه كما كان من أوائل المؤلفات العربية عن فكر الإمام محمد عبده، وقد تحدث فيه بإسهاب عن حياة الإمام محمد عبده متتبعًا تطوره الفكري، كما تحدث عن فلسفته في سبعة فصول متتالية عرض فيها لموقفه من مشكلات الحرية والخير والشر والدين والعلم والسياسة وأدرك في عرضه لجوانب فكر الإمام جوهر فكره الذي تميز بنزعة عملية - براجماتية واضحة. كما عرض في باب مستقل لآرائه الإصلاحية موضحًا مذهبه في إصلاح الأخلاق والأزهر، وعن آرائه في الدين الإسلامي وكيفية الدفاع عنه، تفسير القرآن ومنهجه في التفسير الذي يتلخص في تفسير القرآن بالقرآن في ضوء عقلانية موضوعية لا تتعارض أو تلوي عنق النص. وفي الباب الأخير من الكتاب عرض لإشعاعات هذه الآراء للإمام ولمدرسته التي تجاوزت مصر إلى العالم العربي والإسلامي.

5) **فلسفة اللغة العربية:**

وهو من أوائل الكتب التي عنيت بهذا الموضوع الهام، فرغم صغر حجمه الذي لم يتجاوز مائة وعشر صفحات إلا أنه قدم رؤية جادة لفلسفة اللغة العربية رد من خلالها على دعاوى المستشرقين الخاصة بعجز اللغة العربية عن استيعاب العلوم الحديثة. كما نجح في الكشف عن ما في اللغة العربية من خصائص تميزها عن كل لغات العالم بما فيها من مثالية عميقة، وقدرة على كشف الجواني وقوة في الألفاظ وقدرتها على التجدد والتطور فضلاً عن صدارة المعاني بها رغم اهتمامها بالألفاظ و إعرابها.

6) رواد المثالية في الفلسفة الغربية:

وهو كتاب يكشف عن نهج صاحبه الفلسفي المثالي، حيث ركز اهتمامه على دراسة الاتجاهات المثالية في الفلسفة الغربية. وقد تناول فيه بالدراسة ثلاثة من كبار الفلاسفة المثاليين في أوربا وهم ديكارت وكانط وفشته وأبرز ما تميزت به مثالية كل منهم، فديكارت بمثاليته العقلية كان إمامًا للفلسفة الحديثة، وكانط تميز بمثاليته النقدية، أمامثالية فشته فهي مثالية العمل. وقد تميز هذا الكتاب بأنه ترجم بعض نصوص هؤلاء الفلاسفة التي تكشف عن طبيعة المثالية لدى كل منهم.

7) الجوانية - أصول عقيدة وفلسفة ثورة:

وهو بلا شك أهم كتبه نظرًا لأنه احتوى على رؤيته الفلسفية الخاصة التي انعكست على كل ما كتبه سواء قبل هذا الكتاب أو بعده، وقد جاء هذا الكتاب في خمسة أبواب وبعض الملاحق؛ تحدث في الأول عن حياته وخصائصه وسمات شخصيته وثقافته وتطوره الفكري، وفي الثاني عن معنى الجوانية، وفي الثالث طبق مفهوم الجوانية على اللغة الغربية وفلسفتها، وفي الرابع كشف عن البُعد الجواني في الثقافة الإسلامية وفي الخامس تحدث عن قوميته العربية باعتبارها تقوم على احترام حقوق الإنسان وتحترم حريات الشعوب وتؤمن بالإخاء والمساواة والسلام. وفي نهاية الكتاب تحدث في الملاحق عن الدين باعتباره البُعد الجواني للإنسان، وعن المثالية الجوانية، وعن الجوانب البرانية في اللغة العربية، وعن الجوانية عند الغزالي، وعند العقاد.

8) شخصيات ومذاهب فلسفية:

وهو كتاب تناول فيه دراسة عدة نماذج من تاريخ الفلسفة بمختلف عصورها؛ فتحدث في القسم الأول عن الفكر اليوناني وتحدث فيه عن السوفسطائيين وسقراط الذي كان يعتبره أعظم شخصية في تاريخ الفكر الإسلامي، وتحدث في القسم الثاني عن الفلسفة الإسلامية ورد على دعوى المستشرقين مؤكدًا أنها فلسفة عربية - إسلامية أثرت وتأثرت شأنها شأن المدارس الفلسفية الكبرى في تاريخ الفلسفة وأوضح في حديثه عن الفارابي وابن سينا وابن رشد مدى أصالتهم ومدى تأثيرهم في الفلسفة الأوربية سواء في العصر الوسيط أو في العصر الحديث. أما

القسم الثالث فقد خصصه للحديث عن الفلسفة الأوربية ممثلة في اثنين من كبار فلاسفتها هما ديكارت وهيوم.

9) **نجو جامعات أفضل:**

وهو كتاب صغير الحجم كبير القيمة نظرًا لأنه قد تناول موضوع إصلاح الجامعات المصرية حيث حصر مواطن القصور في أدائها وأوضح طريق النهوض بها عبر عشر مقالات تنوع فيها الحديث من نقد الأداء في بعض الجوانب إلى بيان الرسالة الحقيقية للجامعة، والواجب التنويري لخريجيها في ضوء المقارنة بين ما يحدث عندنا وما يجرى في الجامعات الأوربية.

10) **شيلر:**

وقد صدر هذا الكتاب ضمن سلسلة « نوابع الفكر الغربي « التي كانت تصدر عن دار المعارف بالقاهرة. وقد تحدث في القسم الأول عن حياة شيلر موضحًا المؤثرات الفلسفية التي شكلت فكره البراجماتي. وفي القسم الثاني تحدث عن مذهبه البراجماتي الذي تميز بهذه النزعة الإنسانية التي تجعل من البحث عن الحقيقة بحثًا في خدمة الإنسان وفي تحقيق مطالبه وحاجاته ومن أجل استمتاعه بحرية أكبر. وقد نجح الكتاب في الكشف عن النزعة الإنسانية - الغائية لفلسفة شيلر التي وسعت من مفهوم المذهب بمعناه التقليدي عند مؤسسي البراجماتية وخاصة وليم جيمس. أما القسم الثالث فقد خصص لترجمة بعض نصوص شيلر الكاشفة عن جوهر فلسفته وتميزها.

11) **رواد الفكر الإنساني في الشرق الإسلامي:**

وخصص هذا الكتاب لدراسة فكر أربعة من كبار قادة الفكر الإسلامي المعاصر، وهم: جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبدالرحمن الكواكبي ومحمد إقبال.

12) **لمحات من الفكر الفرنسي:**

وجاء هذا الكتاب ثمرة لقراءات مستفيضة وانطباعات عميقة عن الفكر الفرنسي التي قدر للؤلف أن يشهدها بنفسه إبان وجوده للدراسة في فرنسا. وقد اشتمل على دراسة عن خصائص الفكر الفرنسي ودراسة بعنوان صوت ديكارت، ولمحات أدبية من باريس وجوها الفكري

بعنوان ومضات من باريس، ثم دراسة عن برجسون وروح العصر وأخيرًا قدم دراسة عن كتاب سارتر «الوجودية فلسفة إنسانية» بعنوان حوار مع سارتر.

وبالإضافة إلى تلك المؤلفات الهامة للدكتور عثمان أمين قدم مؤلفين صغيرين آخرين؛ أحدهما بعنوان «نظرات في فكر العقاد» في سلسلة المكتبة الثقافية بالقاهرة عام 1965م، وآخر بعنوان «في اللغة والفكر» نشره معهد البحوث والدراسات العربية عام 1967م. كما أن له مؤلفات بالفرنسية، أحدها عن الإمام محمد عبده صدر بالقاهرة عام 1944م. وآخر بعنوان الرواقية والفكر الإسلامي Le Stioicisme et la pensée Islamique صدر بباريس عام 1959م. وله بالإنجليزية كتاب بعنوان أضواء على الفلسفة الإسلامية المعاصرة Lights on Contemporary Moslem Philosophy.

أما في مجال التحقيق فقد حقق د. عثمان كتابين هما إحصاء العلوم للفارابي وتلخيص ما بعد الطبيعة لابن رشد. أما في مجال الترجمة فقد نقل عددًا من أهم النصوص الفلسفية الغربية إلى العربية، بدأت بترجمة كتاب البير باييه «دفاع عن العلم» الذي نشرته دار إحياء الكتب العربية عام 1946م، ثم ترجم لديكارت اثنين من أهم نصوصه هنا: «التأملات في الفلسفة الأولى»، و«مبادئ الفلسفة»، كما ترجم لكانت كتابه الهام «مشروع للسلام الدائم» وترجم لكارل ياسبرز كتاب «مستقبل الإنسانية»، كما ترجم لمارتن هيدجر كتاب «في الفلسفة والشعر» وقد ترجم واحدًا من أهم الكتب التي صدرت عن كانت وهو كتاب «فلسفة كانت» لإميل بوترو.

رابعا: مذهبه الفلسفي

لقد تمسك د. عثمان أمين طوال حياته وعبر مؤلفاته بنزعة فلسفية مثالية تميزت بخاصيتين اثنتين هما «الجوانية» و«العملية» وقد آثر أن يطلق على فلسفته «الجوانية» موضحًا أن ذلك جاء نتيجة لإطالة النظر في أمور النفس ومتابعته التأمل في بطون الكتب مع مداومة التعرض لتجربة الوقائع والمعاناة التي عاشها مع الناس. وقد استند في هذه الفلسفة على سندين هما الدين، والأخلاق. وفي هذين الأساسين نلمح سمة المثالية التي تحلى بها في حياته وهي مثالية دينية ذات طابع عملي أخلاقي تعتبر الفكر التأملي أساس الوجود كما في فلسفات ديكارت التي تأثر بها كثيرًا لدرجة أنه كان في حياته وبين تلاميذه أشبه بفكرة ديكارتيه تسير في

الطريق وتتحرك في الحياة. ومن ثم فقد تميزت فلسفته الديكارتية بنزعة عملية واضحة ربما تأثر فيها بمثالية فشته العملية وبالروح الدينية الإسلامية التي انبعثت في ذهنه وتسربت إلى حياته نتيجة تأثره بآراء وحياة محمد عبده ومصطفى عبدالرازق.

لقد كان يرى أن «الجوانية» سعي دائب لتزكية الوعي الإنساني، وأنها فلسفة مفتوحة من شأنها تنوير الأذهاب وتصفية النفس وتنقية الروح، وهي وإن كانت تميل إلى المثالية - الميتافيزيقية وتتخذ من الحدس والبصيرة منهجًا للوصول إلى حقيقة الأمور، فهي لا تتعارض مطلقًا مع الواقع ولا تتنافش مع العلم أو العقل.

إنها فلسفة تعتبر أن مهمة العلم تقتصر على دراسة الموضوعات بالتركيز على ظواهرها الخارجية، ومن ثم فهي لا تقتنع بتلك الدراسات العلمية، بل تطمح إلى تجاوزها لتفسر ما وراء الظواهر، ولتنفذ إلى بواطن الموضوعات لتكشف عن جوهرها الأصيل.

وحينما يقوم الفيلسوف «الجواني» بذلك عبر حدوسه، فهذا لا يتناقض لديه مع العقل، إذ لا تنافر عند مفكرنا بين العقل والحدس، بل هما متكاملان وكل الفرق بينهما أن الحقيقة يدركها العقل مجزأة بينما يدركها الحدس إدراكًا كلياً وشاملاً.

إن الجوانية كما يراها عثمان أمين، مزيج من النظر والعمل، من التأمل والحياة، إنها مزيج من المثالية والواقعية؛ فالإنسان إذا ما وهب حاسة الاتصال بالواقع والسمو عليه في آن واحد أصبحت الحياة لديه عبارة عن شعور مباشر بالحياة ذاتها.. وهذا الشعور المباشر بالحياة يجعل من الإنسان الجواني قادرًا على رد المذاهب المتباينة إلى مذهب واحد، وفلسفة واحدة تكون بمثابة تأليف أصيل بين الواقعية والمثالية. وهذا التأليف هو ما يجعل حياة الإنسان حقًا حياة سعيدة وفاضلة في آن واحد.

لقد بدت هذه الرؤية الفلسفية للدكتور عثمان أمين في حياته لدرجة ذابت فيها المسافة بين النظر والعمل، فاتحد فيها القول مع الفعل. وكان هذا باستمرار هو سر حيوية فكره وجاذبيته كما كان سر سعادته وتألقه وانعكس على كل من قابله وتتلمذ عليه، فكانت «الجوانية» بحق أصول عقيدة وفلسفة ثورة كما وصفها صاحبها وكما أثرت من خلاله في كل من تلقاها عنه وعاشها معه.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

د. عثمان أمين:

- الجوانية: أصول عقيدة وفلسفة ثورة، دار القلم بالقاهرة 1964م.
- ديكارت، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، القاهرة 1971م.
- الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، القاهرة 1971م.
- محاولات فلسفية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1953م.
- رائد الفكر الإسلامي.. محمد عبده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1965م.
- رواد المثالية في الفلسفة الغربية، دار المعارف، القاهرة 1967م.
- لمحات من الفكر الفرنسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1970م.
- شخصيات ومذاهب فلسفية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة 1945م.
- نحو جامعات أفضل، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1952م.

ثانيا: المراجع

- دراسات فلسفية مهدان إلى روح عثمان أمين، إشراف وتصدير د. إبراهيم مدكور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1979م.
- د.عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998م.
- د. عصمت حسين نصار: مدرسة مصطفى عبدالرازق وأثرها على الفكر الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط 1991م.